القـول الـزلال في بيـان موقـف المسلـم من

الزلزال

تأليف

الشيخ أبي عبد الباري العيد بن سعد شريفي

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: 102].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء: 1].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعدُ:

فإن لله ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بعلمه وقدرته وحكمته، وما من آية كونية غير معتادة إلا ولنا اتجاهها أحكام شرعية :

فعن عبد الرحمن بن سمرة -رضي الله عنه- قال: "كنت أرتمي بأسهم لي بالمدينة في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذ انكسفت الشمس فنبذتها فقلت: والله لأنظرن إلى ما حدث لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كسوف الشمس؛ فأتيته وهو قائم في الصلاة رافع يديه فجعل يسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويدعو حتى حسر عنها، فلما حسر عنها قرأ سورتين وصلى

ركعتين"[1]. وفي رواية أخرى: "بينا أنا أترامى بأسهم لي بالمدينة إذ انكسفت الشمس فجمعت أسهمي رجاء ثم لأنظرن ما أحدثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كسوف الشمس..."[2].

قال السندي -رحمه الله-: (قوله: "ما أحدثه الرسول -صلى الله عليه وسلم-" زعم أنه لابد أن يقرر في الكسوف شيئا من السنن فأراد أن ينظره)[3].

وإن الزلزال آية منها، يعرّفه أهل الاختصاص بأنه: حركة تحول للقشرة الأرضية في فترات منقطعة بسبب عوامل طبيعية، حيث تتكون بؤرة زلزالية في باطن الأرض بأعماق مختلفة فتصدر الاهتزازات.

لكن مع ذلك، فكل هذا لا يقع إلا بعلم الله تعالى وأمره، لأسباب تقتضي ذلك، فإمّا أن تكون أسبابا ربانية محضة لحكمة اقتضتها وإمّا بأسباب أفعال العباد لأن الله جعل لأفعال العباد تأثيرا في الكون: قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ [الروم: 41].

وإثر الزلزال الذي هزّ بعض مناطق هذه البلدة الطيبة وتلبية لطلب بعض الإخوان لِما رأوه من جزع وفزع وهلع دبّ وسط الناس فإنني رغبت أن أسدي لنفسي ولهم نصيحة تعيننا على الخروج مما نحن فيه، ونزولا عند رغبتهم جمعت في عجالة هذه الأوراق التي سميتها:

"القولُ الزُّلالُ في بيانِ موقفِ المسلمِ منَ الزِّلزالِ"

سائلا الله جلّ في علاه النفع بها والتوفيق والسداد لكل ما يحبه ويرضاه. وأقول مستعينا بالله:

---

1 رواه مسلم في صحيحه برقم: 913، كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف...

2 رواه النسائي في سننه برقم: 1460، كتاب: الكسوف، باب: التسبيح والتكبير والدعاء...(صححه الألباني).

3 حاشية السندي على سنن النسائي ج 3 ص125.

إنّ الزّلزال الذي هزّ المناطق الوسطى من بلادنا هذه الأيّام بيّن بوضوح الفراغ العقديّ والضّعف الإيمانيّ والبعد في التّعامل بالشّرع، وذلك من خلال الفزع والهلع والخوف والاضطراب الذي أصاب النّاس، خاصّة بعدما أُخبرُوا أنّه ستتلوها هزّاتٌ أخرى...

فدفعني كلّ ذلك إلى التفكّر والتّدبّر، فتوصّلت إلى أنّ ذلك راجعٌ إلى ما يلي:

تسـمـيـة الأشـيـاء بـغـيـر اسـمـهـا

إنّ تسمية الأشياء بغير مسمّياتها الحقيقيّة لها آثارها على الجانب العقديّ والنّفسيّ والعمليّ، وقد بيّن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- ذلك في قوله: "لَيَشْرَبَنّ نَاسٌ من أُمَّتِي الخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيرِ اسْمِهَا"[1]، وفي رواية أخرى: "يشرب ناس من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه"[2]. وهم فعلوا ذلك ليبدّلوا حكمها.

"قال ابن الملك -رحمه الله- : أي يتوصّلون إلى شربها بأسماء الأنبذة المباحة كماء العسل وماء الذرة ونحو ذلك، ويزعمون أنه غير محرم"[3]، فتسميتها بغير اسمها أوصلهم إلى استحلالها من النّاحية العقديّة وإلى تناولها من النّاحية العمليّة، وأمّا في الشّرع فالعبرة بالحقائق، لأنّ "التّسمية والحيلة لا تجعلان الحرام حلالا"[4].

"وذلك لا يغني عنهم من الحق شيئا"[5].

إنّ الزّلزال الذي أصابنا أجمع العلماء والخبراء المتخصّصون، وكذلك الإعلام المرئيّ والمسموع والمقروء على تسمية ما وقع في الجزائر وما يقع في الكون من أعاصير وعواصف وفيضانات وزلازل وبراكين بالكوارث الطّبيعيّة، وهذه التّسمية الخاطئة يترتّب عليها تسليم زمام الأمور إلى الطّبيعة التي لا علم ولا عقل ولا حكمة لها، وحسب اعتقادهم تتصرّف تصرّفا عشوائيّا، ولا أحد يستطيع أن يردّ هذه المصيبة، ولا أن يتدخّل في إيقافها

---

[1] رواه أبو داود في سننه برقم 3688، كتاب الأشربة. (صححه الألباني).

[2] رواه ابن ماجة في سننه برقم 3385، كتاب الأشربة، باب مفتاح كل شر الخمر ..(صححه الألباني).

[3] عون المعبود في شرح سنن أبي داود ج 10 ص 110.

[4] حاشية السندي على سنن النسائي ج 8 ص 313.

[5] فيض القدير شرح الجامع الصغير ج 5 ص 391.

أو التقليل منها، فيعيش النّاس في قلق دائمًا وذعر وجزع واضطراب مؤدٍّ إلى عدم استقرار النّفس، وإلى كثير من الأمراض الجسديّة.

وهذه التّسمية إمّا أن تكون مقصودة من طرف أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن ربّهم ودينهم، وإمّا ناتجة عن بعدهم عن ربّهم وجهلهم به وتعلقهم الشّديد بالمادّة، فانظر أخي المسلم آثار هذه التّسمية الخاطئة على حياتنا.

ضرورة تسمية الأشياء باسمها الشرعي

إنّ ما يقع في الكون من رياح وأعاصير وعواصف وفيضانات وبراكين وزلازل، إنّما هي آيات يرسلها الله تعالى لتخويف عباده، وتذكيرهم لعلهم ينيبون إليه.

قال تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلاّ تخويفًا﴾ [الإسراء: 59].

وقال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقّ﴾ [فصلت: 53].

وقال كذلك: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحًى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[الأعراف: 97-99].

إنّ هذه التّسمية لها آثارها على الإنسان بصفة عامّة وعلى المسلم بصفة خاصّة، فمتى علمنا أنّ ما أصابنا هو من عند الله، ترتبط القلوب بربّها وتعود إليه وتستقرّ النّفس عندما تعلم أنّ أمرها بيد العليم الخبير الحكيم، فبمقدار تحقيق هذه العقيدة يحصل للنّفس من الاستقرار والاطمئنان والسّكينة.

الكون ملك لله وهو المتصرف فيه

لابدّ أن يعلم المسلم أنّ هذا الكون كله ملك لله تعالى يتصرّف فيه كيف يشاء بعلم وحكمة.

قال تعالى: ﴿ولله ملك السّماوات والأرض وإلى الله المصير﴾ [النور: 42].

وقال تعالى: ﴿ألم تعلم أنّ الله له ملك السّماوات والأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير﴾ [البقرة: 107].

ففي هذه الآيات يرشد المولى -عزّ وجلّ- إلى أنّه هو المتصرّف في السّماوات والأرض وما بينهما بالإيجاد والتّحكم، وبنفوذ أمره في جميع مخلوقاته، وهو أعلم بمصالح عباده؛ فليس لكم أيّها المؤمنون غير الله من يقود بأموركم دفعًا للضّرر وجلبًا للخير فهو الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن"[1].

قال تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنّى تصرفون﴾ [الزمر: 6]. فلما لا تعودون إليه عند المصائب؟ فالواجب عليكم العودة إليه لأنه المتصرّف في كونه كيفما يشاء.

وليس للإنسان من دونه من يلجأ إليه قال تعالى: ﴿إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده﴾ [يونس: 61].

وقال: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات: 50].

ويؤكد الله -عز وجل- تمام خضوع مخلوقاته لأمره، قال تعالى:﴿ثم استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: 11-13].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم: 1069، كتاب: أبواب التهجد، باب: التهجد بالليل...

وهذا مع عظم خلقها، قال الله تعالى:﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [غافر: 57].
وقال: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾ [النازعات: 22].
فما كان من هاتين المخلوقتين العظميتين إلا أن قالتا: أتينا طائعين، أي: نستجيب لأمرك ولا نعصيك.

وقال تعالى مخبرا عباده أنه لا يحدث شيء في ملكه إلا بعلمه:﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾[الأنعام: 59].
وقال: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [يونس: 61].

وليس لأيّ مخلوق من مخلوقاته أن يتحرك بدون إذنه الكونيّ أو الشّرعيّ.
يظهر ذلك في قول الله -عز وجل-: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها﴾ [الزلزلة: 1-5]، فما تحركت إلا بأمر منه سبحانه وتعالى.
قال ابن عباس رضى الله عنهما: "أوحى لها أوحى إليها"[1].

---

[1] تفسير القرآن للإمام الطبري ج 30 ص 267.

السنن الكونية

أجرى الله سبحانه وتعالى سننا كونية يسير عليها العالم ومن جملة ذلك:

*** أن جعل الأرض قرارًا:**

قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا﴾ [غافر: 64]، أي قارّة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترتجف بهم.

وقال تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ [النحل : 15]، فجعل الله في الأرض الجبال راسيات تثبّتها فلا تتحرك.

قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا﴾ [النبأ: 6]، فجعل سبحانه و تعالى الأرض ممهدة للخلائق ذلولة قارّة ساكنة والجبال جعلها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت واستقرت بمن عليها.

وهكذا فعل تعالى بجميع المخلوقات سيرها حسب سنن كونية فلا تخرج عنها إلا من بعد إذنه، قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: 54].

*** تحكّمه في الكون:**

إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئا فإنّما يقول له كن فيكون:

قال تعالى: ﴿بديع السماوات والأرض إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة: 117].

فهو إذا المتصرف القاهر فوق عباده قال الله تعالى مبينا ذلك:﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ [آل عمران: 45]، فقالت مريم: ﴿قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [آل عمران: 47]، وقال في الآية الأخرى: ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين﴾ [مريم: 21].

وقال في قصة زكريا: ﴿قال ربّ أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيًا قال كذلك قال ربك هو علي هيّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ [مريم: 8- 9].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الله قادر على تغيير تلك السّنن الكونيّة لحكمة تقتضي ذلك، قال تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: 37]، لمّا وجد زكريا -عليه السلام- الذي تكفل بها، عندها رزقا على غير الطريق المعتاد، تساءل عن ذلك فقال: ﴿يا مريم أنّى لك هذا؟﴾ فأخبرته بأمرها بيقين، فلما علم أن الله يتصرف في كونه بما يشاء دعاه، قال تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربّه قال ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ [آل عمران: 38].
فلما بُشّر بالاستجابة إلى دعائه قال: ﴿قال ربّ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ [آل عمران: 40].

وبيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- تصرف المولى -عز وجل- في كونه فقال: "غزا نبي من الأنبياء...فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه..."[1].

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم: 2956 كتاب: أبواب الخمس، باب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: أحلت لكم الغنائم.. كما رواه مسلم في صحيحه برقم:1747 كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة.

تأثير أفعال العباد في أنفسهم وفي الكون

إن الله خلق الأسباب والمسببات وجعل لكل شيء سببا ومن جملة ذلك جعل أفعال العباد مؤثرة في الكون قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ [الروم: 41].

والفساد الذي ظهر هو القحط والنقص في الزرع والثمار والماء والأجسام، وكثرة الهرج والمرج والرياح والزلازل، ورفع العلم بسبب المعاصي والذنوب، وأعظم معصية على وجه الأرض الشرك بالله.

ولعل الناس إذا تفطنوا لذلك عادوا إلى ربهم بالطاعة والاستقامة على الدين.

يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "ومن أثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن"[1].

وقال في موطن آخر: "ومن تأثير معاصي الله في الأرض ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها"[2]. وهذه بعض العقوبة ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ [الروم : 41]

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فهذا حالنا وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا ولو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة"[3].

وبين الله سبحانه وتعالى أنه أصاب أقواما بالعذاب بسبب معاصيهم، فمن ذلك:

---

1 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص 42.

2 نفس المصدر السابق ص 43.

3 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص42.

* ما أرسل على عاد قوم هود قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع النّاس كأنّهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر﴾ [القمر: 19-21]

* ولما كذبت ثمود قوم صالح، قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ [القمر: 31]، فأبادهم عن آخرهم ولم يبق منهم باقية وأخمِدوا وهمدوا كما يهمد وييبس الزّرع والنبات.

* وقوم لوط جعل الله سافل الأرض عاليها، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظّالمين ببعيد﴾ [هود: 82-83]. وتأكيدا أن أفعال العباد لها أثرها على العالم وفي أنفسهم؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسّنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، و لولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"[1].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج"[2].

وقال تعالى: ﴿نسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: 14]. هذه معاملته سبحانه و تعالى لعباده بلطفه

---

[1] رواه ابن ماجه في سننه برقم: 4019، كتاب: الفتن، باب: الكف عمن قال: لاإله إلا الله..(حسنه الألباني).
[2] رواه البخاري في صحيحه برقم: 989، كتاب: الاستسقاء، باب: ما قيل في الزلازل والآيات...

وعفوه ورحمته وأما لو عاملنا بعدله وأخذنا بذنوبنا كلها لكان الأمر على خلاف ذلك...

قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى﴾ [فاطر: 45].
وقال تعالى: ﴿وربّك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب﴾ [الكهف: 58].

كما تبين لك أن الذنوب والمعاصي مؤثرة على العالم وهي كذلك مؤثرة على النفس:
قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: 124].

فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره، بل صدره حرج ضيّق بسبب المعاصي والكفر، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى والطاعة فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهو في ضنك المعيشة.

وقال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: 125].

فإقامة الشرع والعمل به سبب إلى كل خير في الدنيا والآخرة، يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض وذلك دون كدّ ولا تعب ولا شقاء ولا عناء.

قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف: 96].

وقال كذلك: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [المائدة: 66].

وكذلك الاستقرار واطمئنان النفس، قال تعالى:﴿فإمّا يأتينكم منّي هدى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى﴾ [طه: 123].

وقال في الآية الأخرى:﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: 38].

وقال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: 97].

الطاعة تردّ البلاء

لقد خصّ المولى -عز وجل- هذه الأمة بنعم كثيرة ومن جملة هذه النعم التصرّف في العالم بالعبادة والطاعة فما نزلت بهم نازلة إلا جعل الله لهم منها مخرجا:

*** فجعل الصلاة سببا لجلب الخير ودفع الضر:**

فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- "إذا حزبه أمر صلى"[1]، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه في الصلاة حال سجوده، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"[2]، وقال: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"[3]، وكان -صلى الله عليه وسلم- يصلي بأصحابه صلاة الاستسقاء إذا أصابهم القحط، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- أنه "شكى الناس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه، فخرج رسول الله حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله -عز وجل- ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله -عز وجل- أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث... ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله..."[4].

---

[1] رواه أبو داود في سننه برقم: 1319 ، كتاب: الصلاة (حسنه الألباني).
[2] رواه مسلم في صحيحه برقم: 482، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود..
[3] رواه مسلم في صحيحه برقم: 479، كتاب الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود..
[4] رواه أبو داود في سننه برقم: 1173، كتاب: الصلاة، باب: رفع اليدين في الاستسقاء.. (حسنه الألباني)

وكذلك في الكسوف قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا"[1]؛ ولقد صلاها -صلى الله عليه وسلم- بأصحابه[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «وفي هذا الحديث إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وهو نحو قوله في الحديث الماضي في الاستسقاء يقولون: (مطرنا بنوء كذا)، قال الخطابي: "كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر فأعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه اعتقاد باطل وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما"»[3].

*** وجعل الله لهذه الأمة الاستغفار دافعا للعذاب:**

قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: 33].
وقال: ﴿وأن استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا﴾ [هود: 3]، وقال: (يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ [هود: 52]، وقال: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ [هود: 90]، وقال: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ [نوح: 10-12].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم: 995، كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس..
كما رواه مسلم في صحيحه برقم:901، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف..
[2] رواه أبو داود في سننه برقم: 1009، كتاب: الكسوف، باب: لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته..
[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 2 ص 528.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "إنه ليغانّ على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة"[1].

قال صاحب المرقاة: "أي يطبق ويغشى، أو يستر ويغطي على قلبي"[2].

قال عياض -رحمه الله-: "المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يدوم عليه"[3].

* وجعل الدعاء رادّاً للبلاء و القضاء:

والدعاء يرد البلاء إذا اجتمعت فيه الأمور التالية:
قال ابن القيم: "فائدة: قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه...﴾ جمع في هذا الدعاء الذي يجمع فيه حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طبع المحبة في المتملق له والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين والتوسل إليه بصفاته وشدة حاجته وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه"[4]

ويظهر ذلك من قوله تعالى:﴿وأيوب إذ نادى ربه أنّي مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: 83].
وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لا يرد القضاء إلا الدعاء لا يزيد في العمر إلا البر"[5].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه برقم2702، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار...
[2] عون المعبد في شرح سنن أبي داود ج 4 ص 266.
[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 2 ص 528.
[4] الفوائد ص 201.
[5] رواه الترمذي في سننه برقم: 2139، كتاب: القدر، باب: ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء.. (حسنه الألباني).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء"[1].

وقال تعالى: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ [غافر: 69]، وقال أيضا: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئنّ به قلوبكم﴾ [الأنفال: 9-10].

وقال تعالى: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: 43].

وقال تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربّهم وما يتضرّعون﴾ [المؤمنون: 76].

عن أنس قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب يوم جمعة فقام الناس فصاحوا فقالوا: يا رسول الله قحط المطر واحمرّت الشجر وهلكت البهائم فادع الله أن يسقينا، فقال اللهم اسقنا مرتين وأيم الله ما نرى في السماء قزعة من سحاب فنشأت سحابة وأمطرت ونزل عن المنبر فصلى فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها فلما قام النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب صاحوا إليه: تهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يحبسها عنا، فتبسم النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا فكشطت المدينة فجعلت تمطر حولها ولا تمطر بالمدينة قطرة فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل"[2].

*** وجعل الله التوحيد والإيمان دافعًا للعذاب:**

فللتوحيد مكانة في ردّ البلاء والمصائب قال ابن قيّم الجوزيّة -رحمه الله-: "التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأمّا أعداؤه فيجنّبهم من كرب الدّنيا وشدائدها؛ قال تعالى:﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا

[1] رواه الترمذي في سننه برقم: 3548، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم،(حسنه الألباني رحمه الله).

[2] رواه البخاري في صحيحه برقم: 975، كتاب: الاستسقاء، باب: الدعاء إذا كثر المطر..

أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ [العنكبوت: 65]، وأما أولياؤه فيجنبهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما ولذلك فزع إليه يونس فنجاه من تلك الظلمات"[1]، قال تعالى:﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: 86].

وقال تعالى مبينا فضل الإيمان في رد القضاء:﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ [يونس: 98].
فلما وحدوا الله دفع عنهم العذاب الذي حل بهم، وذلك لقوله تعالى:﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ [يونس: 98].

---

[1] الفوائد ص 53.

ما يجري الله تعالى على العباد من قضاء

ما يجري الله على عباده من قضاء إما مصائب، وإما معائب ولكل واحدة منهما عبودية خاصة، فأحب الخلق إلى الله تعالى من عرف كل عبودية منها فحققها، فمتى جهل عبودية كل واحدة منها فعطلها علما وعملا فهو من أبعد الخلق عنه.

* **أما المصائب**: فهي ما يضيب المسلم من ابتلاء لرفع درجاته في الدنيا والآخرة.
قال تعالى: ﴿ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: 1-3].
وأهل هذا النوع بينهم -صلى الله عليه وسلم- في حديثه حيث يقول: "إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1]

وإن عبودية المصائب الصبر والرضا والشكر:

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها ثم الرضا بها وهو أعلى منه ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا وهذا إنما يتأتى منه إذا تمكن حبه من قلبه وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة"[2].
قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط"[3].

---

[1] السلسلة الصحيحة للألباني- رحمه الله- برقم 145 ج1.
[2] الفوائد ص: 112-113.
[3] رواه ابن ماجه في سننه برقم: 4031، كتاب: الفتن، باب: الكف عمن قال: لا إله إلا الله.. (حسنه الألباني)

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون إذ كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة التي يحويها وإذ كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء"[1]. وعن صهيب -رضي الله عنه- قال: "بينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قاعد مع أصحابه إذ ضحك فقال: ألا تسألوني مما أضحك، قالوا: يا رسول الله ومما تضحك؟، قال: عجبت لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابه ما يحب حمد الله وكان له خير وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خير وليس كل أحد أمره كله له خير إلا المؤمن"[2]، وبرواية: "عجبا لأمر المؤمن..."[3].

* **أما المعائب**: فهو ما يلحق الإنسان من عذاب بسبب ذنوبه ومعاصيه وتقصيره.
قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: 30].

فهو يعاملنا بعفوه ورحمته، ولو يعاملنا بعدله ما ترك على ظهرها من دابة...
قال تعالى: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾ [الكهف: 58].
وقال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل: 61].

وقال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [العنكبوت: 40].

---

[1] السلسلة الصحيحة برقم: 144، ج 1.
[2] السلسلة الصحيحة برقم: 147، ج 1.
[3] رواه مسلم في صحيحه برقم: 2999، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير..

فالمصائب التي تحل بنا هي بسبب ذنوبنا.
قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "إنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا"[1].

فعبودية المصائب هي التوبة والاستغفار والافتقار إلى الله -عز وجل-:

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وعبوديته في قضاء المعائب المبادرة إلى التوبة منها والتنصل والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالما بأنه لا يرفعها عنه إلا هو ولا يقيه شرها سواه فإنها إن استمرت أبعدته من ربه وطردته من بابه، فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره"[2].
قال تعالى مبينا ذلك: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: 87-88]. وقال تعالى:﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: 23].

وقد ظن بعض الناس أن الله لا يعذب عباده المؤمنين بذنوبهم، وإنما ما يصيبهم هو من الابتلاء فقط، وهذا لقلة علمهم ومعرفتهم بالكتاب والسنة، فإن ما أصاب الصحابة -رضوان الله عليهم- في غزوة أحد إنما هو بما كسبت أيديهم وقد كانوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم يقاتلون أعداء الله لرفع كلمته.

قال تعالى: ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ [آل عمران: 152].

---

[1] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص42.
[2] الفوائد ص 113.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقامهم في موضع ثم قال: أحموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا..."[1]
وقال تعالى مصرحا بأن ما أصابهم ليس ابتلاء لرفع الدرجات، وإنما بما كسبت أيديهم: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران: 165].

قال البغوي -رحمه الله-: "﴿أولما﴾ أي: حين أصابتكم مصيبة بأحد،﴿قد أصبتم مثليها﴾ ببدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم ببدر سبعين وأسروا سبعين،﴿قلتم أنى هذا﴾ من أين لنا هذا القتل والهزيمة؟، ونحن مسلمون ورسول الله فينا"[2].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: "من أين أصابنا هذا الانهزام و القتل؟، و نحن نقاتل في سبيل الله و معنا رسول الله، و قد وعدنا الله بالنصر عليهم،﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أمر لرسول الله بأن يجيب عن سؤالهم بهذا الجواب، أي هذا الذي سألتم عنه هو من عند أنفسكم بسبب مخالفة الرماة لما أمرهم به النبي -صلى الله عليه وسلم- من لزوم المكان الذي عينه لهم"[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " والمقصود أن ما جاء به الرسول -صلى عليه وسلم- ليس سببا لشيء من المصائب، ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سببا لمصيبة بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة، ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم لا بما أطاعوا فيه الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم لله ورسوله، وكذلك ما ابتلوا به في السراء والضراء، والزلزال ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم لكن امتحنوا به ليتخلصوا مما فيهم من شر"[4].

---

[1] تفسير ابن كثير ج 1 ص 413.
[2] تفسير البغوي ج 1 ص 368- 369.
[3] فتح القدير ج 1 ص 396.
[4] مجموع فتاوى ابن تيمية ج 14 ص 254.

إيقاف الزلزال والارتدادات

بعدما علمنا أن لله ملك السماوات والأرض وهو المتصرف فيهما بعلم وحكمة ورحمة ولاشيء يتحرك في الكون إلا من بعد إذنه، قال تعالى:﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا و كرها وإليه يرجعون﴾ [آل عمران: 83].

وقال كذلك: ﴿ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير﴾ [آل عمران: 189]، وأن الزلزال الذي هز بلدتنا هو بسبب ذنوبنا ومعاصينا وتقصيرنا فيجب علينا جميعا العمل لدفع الزلزال والتخفيف من الارتدادات المتوقعة بما يلي:

أن نتوب إلى الله توبة نصوحا ونسارع إلى الاستغفار فإن ذلك يرد البلاء والعذاب، قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: 33].
وكذلك نتضرع إليه بالدعاء ونسارع إلى فعل الخيرات والاستقامة على الدين فإذا حصل منا هذا رفع عنا ربنا الغفور الرحيم بأمر منه هذه الارتدادات أو تكون بكيفية لا نشعر بها.

فمن ابتلي بسبب ذنبه فاعترف به وندم وتاب وتضرع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة بالتوحيد والاستغفار فإن الله سينزع عنه العتب ويغفر له الذنب ويرفع عنه البلية ويقبل منه المتاب ويفتح له من الرحمة والتوفيق والهداية كل باب، ولذلك من كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هداه الله إلى أحسن الشيم.

دور الإيمان في الاستقرار والاطمئنان النفسي

إن للإيمان دورا عظيما في حياة المسلم لما يضفي عليه من الاطمئنان والسكينة والاستقرار وتقوى حاجة المسلم لذلك عند الشدائد، قال تعالى:﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾ [الفتح: 4].
وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة"[1]

يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: " وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم ودفع المصاب عنهم ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرضا بكل ما يجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه؛ والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له، وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته... فتعلوه السكينة والاطمئنان في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ويذهب طيشه وقوته وحدته"[2].

ويقول -رحمه الله- في موطن آخر: "والعبد دائما متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمل القيام بالأوامر ظاهرا وباطنا ناله اللطف ظاهرا وباطنا، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن فإن قلت: وما اللطف الباطن؟، فهو ما يحصل للقلب عند

---

[1] رواه مسلم في صحيحه برقم:2699، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب:فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.
[2] الفوائد ص 70.

النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع فيستخذى[1] بين يدي سيده ذليلا له مستكينا.."[2].

ويظهر ذلك واضحا من خلال قصة موسى -عليه الصلاة والسلام- وهو الرجل القوي الذي قضى على رجل بضربة واحدة؛ قال الله تعالى:﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [القصص: 15].
قال له المولى -عز وجل-:﴿وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ [طه: 17-20].

وقال في الآية الأخرى:﴿وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب﴾ [النمل: 10].

قال البغوي -رحمه الله-: "وهرب من الخوف ولم يعقب ولم يرجع...، قال قتادة: (ولم يلتفت)"[3]. فقال له الله عز وجل: ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: 10].

يريد بذلك أنه إذا آمنهم الله لا يخافون، وأما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم... قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له"[4]. والخوف الزائد على الحد هو من الشيطان، قال تعالى:﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: 175].

---

[1] قال الأصمعي: "المستاخذ: المطاطئ راسه من رمد [هلاك] أو وجع"من معجم مقاييس اللغة لابن فارس.
[2] الفوائد ص 202.
[3] تفسير البغوي ج 3 ص 407.
[4] رواه مسلم في صحيحه برقم: 1108، كتاب: الصيام، باب: بيان ان القبلة في الصوم ليست مفطرة..

وقال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [الزمر: 36]، فالذين من دونه هم جميع مخلوقاته.

وإنما الخوف يكون من الله سبحانه وتعالى، وانظر إلى موقف موسى -عليه السلام- الثاني مع السحرة، قال تعالى -واصفا حال السحرة مع فرعون-:﴿فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى، قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، قال: بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ [طه: 64-68].

قال الله تعالى في السحر الذي جاؤوا به:﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف: 116].

ففي هذه الحالة لم يول موسى مدبرا بل مكث في مكانه مطمئنا إلا أنه أوجس في نفسه خيفة ..

قال الشوكاني -رحمه الله-: "وذلك لما يعرض من الطباع البشرية عند مشاهدة ما يخشى منه"[1]

وقال الواحدي -رحمه الله-: "خاف أنه لا يفوز ولا يغلب فلا يصدقوه، أو أن يلتبس الأمر على الناس فلا يميزوا بين الحق والباطل"[2].

فإن موسى -عليه السلام- في الموقف الثاني ثبت، والخوف الذي أصابه فهو في نفسه فقط وهو راجع إلى الطباع البشرية أو الخوف على الدعوة، مع أن الموقف الثاني كان أدعى إلى الخوف لأن السحرة لما ألقوا

---

[1] فتح القدير ج 3 ص 374.
[2] تفسير الواحدي ج 2 ص 699.

حبالهم وعصيهم استرهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم فتغيرت الحبال والعصي إلى حيات تسعى، وفي الموقف الأول عصا واحدة تحولت إلى حية.

فإذن الإيمان يعطي للمسلم قوة يجمع فيها أمره ولا يتصرف تصرفا عشوائيا.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم-: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب"[1].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم: 5763، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب.

كما رواه مسلم في صحيحه برقم: 2609، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب..

وتأكيدا لبيان مكانة الإيمان في الحياة...

وتأكيدا لبيان مكانة الإيمان في الحياة..انظر إلى الموقف الذي وقفه هود -عليه السلام- لما كان متوكلا على الله حق توكله قال لقومه: ﴿فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: 55-56].

وانظر إلى موقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما في حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- حيث يقول: "هل تعلمون أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله وقال: أسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان"[1]. فما فروا ولا اضطربوا ولا هلعوا.

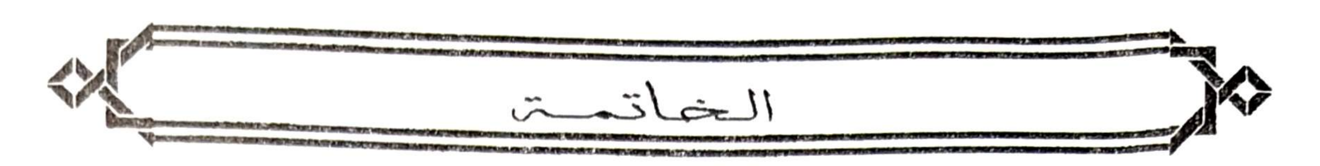
وانظر كذلك إلى قصة النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الأعرابي الذي رواها جابر -رضي الله عنه- قال: "... فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعونا، فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس، فقال -صلى الله عليه وسلم-: إن هذا اخترط علي سيفي، وأنا نائم فاستيقضت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟، قلت: الله، فهاهو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"[2].

وعليه فبحسب إيمان العبد ومعرفته بربه وتوكله عليه وثقته يقل الخوف والقلق والاضطراب والجزع والهلع. والله تعالى أعلم.

---

[1] رواه الترمذي في سننه برقم:كتاب المناقب، باب: مناقب عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

[2] رواه البخاري في صحيحه برقم: 3905، كتاب: المغازي: باب: غزوة ذات الرقاع.



الخاتمة

من الضروري أن يعلم كل مسلم أن ما يصيبه في هذه الحياة من وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر عنه بها سيئاته، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير"[1].

فما من حالة يعيشها المسلم إلا وله فيها عبودية تعرفه بربه وأسمائه وصفاته، فمن حقق هذه العبودية علما واعتقادا وعملا، كان من أقرب الناس لله، وكل من كان جاهلا بها غافلا عنها إلا وكان من أبعد الناس عن الله -عز وجل-.

وعلى هذا يصبح لزاما على المسلم أن يتعلم دينه، ليحقق عبودية الله التي بها سعادته في الدنيا والآخرة.
قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: 97].

وانظر -أخي المسلم- إلى الرعيل الأول من خلال قصة أم سليم -رضي الله عنها- لما حققت عبوديتها في المصيبة علما واعتقادا وعملا، ماذا حصل لها؟ فإنه "اشتكى ابن لأبي طلحة -رضي الله عنه-، فمات وأبو طلحة خارج فلما رأت امرأته أنه قد مات، هيأت شيئا ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟، قالت: استراح وظن أنها صادقة، فبات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بما كان منهما، فقال رسول الله -

[1] رواه مسلم في صحيحه برقم: 2999، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير..

صلى الله عليه وسلم-: لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما..، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن"[1] .

قال النووي -رحمه الله-: "وفي هذا الحديث مناقب لأم سليم -رضي الله عنها- من عظيم صبرها وحسن رضاها بقضاء الله تعالى وجزالة عقلها في إخفائها موته عن أبيه في أول الليل ليبيت مستريحا بلا حزن"[2] .

فلعنا بهذا نتأسى بمن قبلنا فنتجاوز مصابنا ونستغفر ربنا ليكشف عنا ما ألم بنا من ضرر ونصب...

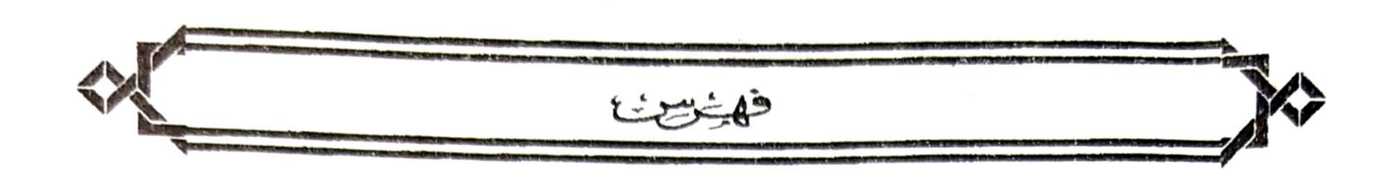
وأختم هذه الورقات بقولي: جزى الله خيرا أخا ناصحا أمينا وجد حقا بينا فيها فانتفع به أو خطأ واضحا فأصلحه، فإنما أنا بشر أخطأ وأصيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحابته أجمعين، ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أبو عبد الباري العيد بن سعد شريفي

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم: 1239، كتاب: الجنائز، باب: من لم يظهر حزنه عند المصيبة..
كما رواه مسلم في صحيحه برقم: 2144، كتاب، باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته..
[2] شرح النووي لصحيح مسلم ج 14 ص 124.



فهرس

الموضوع	الصفحة